معجم المفردات القرآنية في تفسير الدكتور شوقي ضيف

أ.د. هناء جواد عبد السادة
جامعة بابل /كلية التربية للعلوم الانسانية

م.م. حاكم فضيل عطيوي
جامعة بابل/ كلية التربية للعلوم الانسانية
Dr.hakim8287@yahoo0com

الملخص

في هذا البحث قراءنا – قدر الإمكان– جهود شوقي ضيف في معجم المفردات القرآنية؛ وقد لمسنا ما لديه من ميول نحو التيسير والابتعاد عن التأويل، والاقتداء بآبائه المعجميين من الذين أسهموا في رسم الحدود التفسيرية لكثير من هذه المفردات القرآنية بالشكل الكتابي الذي لم يتحرر من سلطة البيئي والتاريخي والمذهبي والقومي والرسمي، وهي أنظمة حضارية تمنح الخصوصية سمات عاطفية وفكرية وترسم للأنا الفاعلة حدودها، ومحيطها العرفي الذي قد يتحكم بالكثير من اختياراتها، وقد يندس في خطابها التفسيري ووسائله وأنساقه ليتجه نحو القارئ بشكله الكتابي المنشور، وقدمنا في قراءة جهده نقداً محرراً ومحاوراً لهذه الطاقة المعرفية والإنسانية المخزونة في هذا الجهد، والله تعالى من وراء القصد.

الكلمات المفتاحية: التفسير، المفردة، المعجم، شوقي ضيف

Abstract

In this research, our readers - the extent possible. Shawki Daif efforts in dictionary vocabulary Quranic; We have seen of his leanings toward easing away from the interpretation and modeling Almagamaan Babaih of those who have contributed in drawing explanatory of many of these Quranic vocabulary border written form in which it was not liberated from the authority environmental, historical, religious, national and official, a civilized systems grant Privacy emotional and intellectual attributes and paint for I actors borders, customary and its environs, which has controlled a lot of choices, and Lindas in her explanatory, methods and Onsagah to head towards the reader written form, publication, and we have to read his cash editor and interlocutor for this energy and knowledge stored in this humanitarian effort, and .the God of the intent behind

Keywords :explanatory ,vocabulary ,dictionary ,shawkipaif.

توطئة

تمتلئ كثيراً من الكتب التي حملت عنوان مجاز القرآن أو مجازاته وغريب القرآن أو غرائبه ومتشابه القرآن أو مشكله بالجهد المعجمي القرآني ، وكذلك كتب التفسير والمعاجم اللغوية على اختلافها وتعددها مصوّرة المعاني اللغوية التي يمكن أن تسهل للمفسّر والباحث في مجال القرآن الكريم كثيراً من صعوبات الفهم الدلالي للمفردات القرآنية، والوصول إلى الأحكام والحكم والمواعظ الخلقية والأخبار الصادقة مما ينطبق وتعاليم الشريعة الإسلامية التي ترضي الله تعالى، وتيسّر للقارئ والدارس مهمته على الوجه الصحيح.

إلا أن هذه الأعمال التي يقوم بها أصحابها لا تخلو من مقومات وعناصر مضمرة؛ لكونها جزءاً من خطاب له مكوناته التاريخية واللغوية والفكرية والبيئية والحضارية ؛ مما يجعلها عرضة للميول والوهم الأيديولوجي الذي تكرس هيمنته سلطة الأبويات الحضارية على ظواهره ومضمراته في الكتابة والقراءة بوصفهما وقائع لقرار الإنسان الذي لا يكون فردياً بالضرورة نحو ما بيناه في التمهيد بل هو قرار جماعي يلتزم به القارئ لدوافع مختلفة تتكشف في استجابته بوصفه أحد الفواعل الناشطين في مجال القراءة والكتابة، وعليه يتطلب منا هذا الواقع نقد الاستجابة الحضارية للقراءة وفاعلها؛ لكي يتضح مدى المشاركة الحوارية، وصراعها الخطابي في تشكيل الطاقة الإنسانية والمعرفية التي تمثل الجهد المبذول في الكتابة من لدن القارئ.

سنقوم هنا بقراءة معجم مستخرَج للمفردات القرآنية التي فسّرها ضيف من خلال السلطة المعجمية العربية؛ مما يبين مدى تغلغل المعاني اللغوية في دراسة القرآن الكريم وتفسيره، وكيف تدخل هذه المادة المعجمية اللغوية في تشكيل الخطاب التفسيري للنصوص الكريمة، إن هذا العمل يسأل عن سلطة المعجم في استجابة القارئ ويحاول تحرير استجابته منها، بالقدر الذي يصبح فيه هذا المعجم متحررا من الهيمنة ذات البعد الواحد، ويصبح النص المفسّر مشاركة حضارية ذات وساطة نقدية تذكر الرأي والرأي الآخر في سبيل تواصل معرفي وإنساني .

معجم المفردات القرآنية

حرف الألف:

١. أبّا: وردت في سورة عبس/٣١ في قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □ □ ﴾

يقول ضيف: :"وأبّا "أي مرعى ، وقيل الأبّ الفاكهة اليابسة"[١]، وعند غيره "المرعى المتهيئ للرعي والجز"[٢] وكذلك "مرعى من أب إذا أمّ لأنه يُؤم ويُنتجع، أو من أبّ كذا إذا تهيأ له لأنه متهيئ للرعي، أو فاكهة يابسة تؤوب للشتاء"[٣]، وهناك من أخصها للمرعى[٤] إذاً المعنى المعجمي يسيطر سيطرة تامة على فهم مفردة "أبّا" وهناك من أيّد الرأي الذاهب إلى أن بعض الألفاظ القرآنية ومنها "أبّا" هي من غير لهجة قريش لذلك لم يعرف معناها بعض المقربين من الرسول ﷺ[٥]؛ وعليه تكون للأبوية الحضارية المعجمية القرشية دور في تفسير مثل هذه المفردات القرآنية النائية عن المركز اللهجي القرشي تفسيراً معجمياً، وقد استعيد هذا التغريب المعجمي لهذه المفردات من قبل بعض المفسرين المحدثين، وفي نقد هذه الاستجابة الحضارية لتغريب المفردة اللهجية والتواصل في تفسيرها معجمياً نرى تكريس لحظر الاستعمال والتداول الكتابي والحضاري بهذه المفردة من قبل الأبوية المعجمية العربية؛ بضرورة أن الاستعمال والتداول سيحررانها من الغرابة المعجمية، ويضعانها في الألفة التداولية، وهذا ما لم يتم تحريره في العملية الكتابية العربية .

٢. أيامى: وردت في سورة النور/٣٢،قال تعالى: ﴿ ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﴾

يقول ضيف:" الأيامى على زنة اليتامى جمع أيّم ، وهي من لا زوج لها بكرا أو ثيّبا"[٦]، وعند غيره " الأيامى واليتامى: أصلهما أيائم ويتائم، فقلبا، والأيم: للرجل والمرأة، وقد آم وآمت وتأيما: إذا لم يتزوجا بكرين كانا أو ثيبين"[٧]، وكذلك ورد أن" الأيامى جمع أيّم، وهي المرأة التي لا بعل لها"[٨]، وفسرت أيضاً "كل ذكر وأنثى لا زوج له"[٩] أو "من لا زوج لها، ومن لا زوجة له"[١٠]، ويتضح إن ضيف اختار قصر الأيامى على النساء غير المتزوجات فقط مع أن هناك كثير ممن جمع تحتها النساء والرجال، ويرجع ذلك نحو ما يبدو إلى ملاحظة ضيف إلى تركيب الآية الكريمة في سورة النور وهو قوله تعالى : " وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم"، فقصر الأيامى على النساء، وخص الصالحين بالرجال، أو إن ضيف مال إلى شيوع الاستعمال العرفي في إطلاق حال الأيامى على النساء اللواتي من دون أزواج فقط.

٣. أيكة: وردت في عدد من السور وهي: الحجر/٧٨ والشعراء/١٧٦وص/١٣وق/١٤، يقول ضيف: "الأيكة: الغيضة وهي الشجر الكثير الملتف، واختلف المفسرون هل هي مدين أو هي غيضة بجوارها أرسل شعيب إلى أهلها كما أرسل إلى أهل مدين"[١١]، وأيضاً قال غيره بأن "الأيك شجر ملتف، وأصحاب الأيكة قيل: نُسِبوا إلى غيضة كانوا يسكنونها، وقيل هي اسم بلد" [١٢]، ويتكرر المعنى المعجمي للأيكة بأنها "الشجر الملتف...وقيل الأيكة الغيضة ذا الشجر الملتف"[١٣]، لذلك تكرر تعريف أصحاب الأيكة بأنهم" أصحاب الغَيْضة الكثيفة الملتفت الشجر (قرب مدين)"[١٤]، ويبدو أن "الأيكة" تعمل كمعالم حضارية لعبادة المدينيين وهم قوم نبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام، إلا أن ضيف يسلّط التفسير المعجمي على هذه المفردة إذ يستجيب للأبوية المعجمية العربية في تعريفها في تفسيره الوجيز ويترك بدافع التقيّد المعجمي تحليل المعنى

الحضاري، وهو " آلهة المدينيين" التي تعمل بمثابة أصنام نباتية تنمو وتتفرع وتتزيّن وتنفع، فلم يسأل عن علاقة الأيكة المعبودة بغشهم بالأوزان، وهي علاقة مادية حضارية، فقد يتاجرون بثمار الشجر أو يبيعون الحطب، فهذه قراءة حضارية بيئية لم تظهر لخضوع استجابته لسلطة الأبوية المعجمية العربية، على الرغم من موسوعيته في أدبيات الحضارة العربية والإسلامية وتاريخها.

حرف الباء:

٤- البيان: ورد في آيات عدة منها: ﴿ ﴾

إذ يقول ضيف: "البيان الكلام ... والأساس الأول للبيان هو اللغات التي بها يتكلم الناس وما تتضمنه ألفاظها من المعاني والمعارف والعلوم وكل ما كان منها وما يكون...ويدخل في البيان الذي أنعم الله على الإنسان بتعلمه القرآن الكريم، وقد سمّاه في سورة آل عمران بياناً إذ يقول :(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) وهو بلا ريب أرفع صور البيان"[١٥]، وقال أيضاً: " (علّمه البيان) عن نفسه بكلامه وفنونه الأدبية وعن عقله بعلومه المختلفة"[١٦] ويقترب ما قاله ضيف في البيان من مقولة الجاحظ وهي: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[١٧]، وهناك من قال : " وأما العلم بالبيان، فهو العلم بكلام العرب" [١٨] حتى كان العلم بالبيان استدلالا على خلق القرآن عنده على اعتبار إن الموصوف بصفة لا يمنع من اتصافه بغيرها، فالإنسان موصوف بالخلق في قوله تعالى من سورة الرحمن : " خلق الإنسان* علمه البيان"، والبيان موصوف بالعلم إلا أن اتصاف الكائنات والأشياء ببعض الصفات لا يمنع من اتصافها بغيرها فيجوز تعدد الصفة وهذا مذهب عقلي يأخذ به المعتزلة، والواضح من موقف ضيف أنه يربط معنى البيان في الآية بالعلم فقط من دون الخلق الذي اتصف به الإنسان، إذ يبقى فهمه للبيان فهماً جاحظياً يرتكز على صفة العلم المقرونة بالبيان في القرآن الكريم، وعلى الرغم من اقتراب هذه القراءة من اصطلاح البلاغيين العرب إلاّ أن فهم مفردة البيان يبقى هنا فهماً فكرياً وحضارياً، إذ أن دراسة هذه المفردة تتعلق بالتعلم والتطور الإنساني إذ عدّ ضيف تعليم الله تعالى القرآن والبيان للإنسان نعمة إلهية وملكة كوّن بها حضارته[١٩]، وقد جعل ضيف البيان شاملاً للكلام والفنون والعلوم؛ لأنها تعبر عن نفس الإنسان وعقله، فكان وسيلة لتكوين الحضارة وبهذا يقدّم ضيف استجابة حضارية متحررة في فهمه للبيان، وذلك لتحرره هنا من سلطة المعجم العربي، وتماشيه مع ما أبداه بعض علماء المسلمين من فهم فكري وحضاري لهذه المفردة وهي في طريقها نحو الاصطلاح نحو ما يرى بعض الباحثين المحدثين [٢٠]، وبهذا تحررت استجابته من سلطة المعجم واتجهت نحو تفسير حضاري لمفردة البيان من غير أن تخضع لسلطة مذهبية معينة على الرغم من ميولها الجاحظية.

٥. بينة: وردت في سورة هود/٦٣، ﴿ ﴾

يقول ضيف: "(على بينة) أي على حجة واضحة ويقين" [٢١]، وقال غيره : " البينة: الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة "[٢٢]، وقال آخر: " بينة: الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والبيان هو الدلالة وقيل العلم الحادث"[٢٣]، فعلة اليقين والفصل الحاصل من البينة يبقى الأثر المعنوي والفائدة العملية من فحواها، فيتشكّل مفهوم "البينة" عن طريق الخطاب والواقعة اللذين يؤديان إلى الصدق والإقناع بالمطلوب إثباته، وتصديقه، ومع نسبية الصدق والإقناع تبقى "البينة" مَعْلم حضاري؛ لا يتجاوز سلطات الاستجابة التي يحددها المستجيب بوصفه قارئاً حضارياً له خصوصيته .

٦. بديع: وردت في سورة البقرة /١١٧، ﴿ ﴾ يقول ضيف:

"بديع: مبدع السموات والأرض على غير مثال سابق" [٢٤]، وقال غيره:" الإبداع: إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ، ومنه قيل: ركيّة بديع أي: جديدة الحفر، وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة، ولا زمان ولا مكان، وليس ذلك إلا لله"[٢٥]، فوجه المبالغة في الإبداع له معالمه التي تعبّر عنه، وهذه المعالم غير مقيدة بسلطة حضارية بل إن مفهوم "البديع" – وصفاً– لخالق الحياة يجعل من مفهوم هذا الإبداع فهماً خارقاً للمقدرة البشرية، ومن يصدّق بخالق السموات والأرض لا يفهمه إلا بديعاً، وبذلك تتوقف الاستجابة لهذا المفهوم على أمرين: الأول: التصديق بالقرآن الكريم؛ لأنه الظاهرة النصية الوحيدة لهذا المفهوم، والثاني: التفكير بالسموات والأرض، لأنهما الظاهرتان المتجليتان لهذا البديع، ولهذا تتكون الاستجابة هنا إما بشكل حضاري إسلامي أو بشكل حضاري فلسفي ديني، وقد يصل إلى شيء آخر من لا يسلك أيهما في استجابته لهذا المفهوم.

٧. بروج : وردت في سورة الحجر/ ١٦ ، ﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾ يقول ضيف: " (بروجا) جمع برج وهو في اللغة الحصن وعند أصحاب الفلك منازل طوال أشهر السنة الاثني عشر، وهي بعددها "[٢٦] ، وقال غيره: " (والسماء ذات البروج – البروج: القصور ، والواحد: برج، وبه سمي بروج السماء لمنازلها المختصة بها، قال تعالى البروج/١)"[٢٧]، إذ يتكون مفهوم "البروج" عند ضيف من ناحية الناظر؛ لأنه يراها بروجاً، والفهم المعجمي يأخذ الجانب الزمني الحركي لمفهوم البروج، وهو معلمها الحضاري الذي يدل على فهم البشر لفائدتها وانتفاعهم منها، وقد أخذ به ضيف استجابة منه لسلطة المعجم العربي المعبّر عن نظرتهم النفعية التي غيّبت جماليات الإعجاز الكوني التي تدل على البديع وإبداعه وجلالته.

حرف التاء:

٨. تبارك: وردت في سورة الفرقان/١،و١٠ و٦١، وغافر/٦٤، والملك/١ ، قال تعالى :
﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾ وقال ضيف: "تبارك اختلف

المفسرون في معناه فقيل معناه تقدّس، وقيل تعالى، وقيل تعالى عطاؤه وزاد وكثر. وقيل تبارك تفاعل من البركة وهي الكثرة من الخير أي كثر خيره وفضله، وقيل تبارك من برك الشيء إذا ثبت، فمعناه ثبوت الخير والإنعام الإلهي ودوامهما"[٢٨] وقال أيضاً: "(تبارك) أي تعاظمت بركة الله وتزايدت" [٢٩]، وقد ذكر غيره إن " الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة"[٣٠]، ومع إن ضيف يحاول دراسة المفهوم بشكل تفصيلي في كتابه (سورة الرحمن...) إلا أنه لا يؤيد الفهم المعجمي وكذلك المعنى القائم بالشاهد الشعري وهذا يجعل من قراءته تقترب من التحرر الحضاري؛ ويؤيد ذلك ما ذهب إليه في تفسيره الوجيز بأن "تبارك" معناها تعاظمت بركة الله وتزايدت، وهذا الفهم ينسجم واتساع الاستجابة الحضارية لمفهوم "تبارك" المسندة لله تعالى بأنها تتعاظم وتتزايد، وذلك محسوس من قبل القارئ التاريخي لتطور الحضارة.

حرف الجيم:

٩. جنفا: وردت في سورة البقرة /١٨٢، ﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾ قال ضيف: "جَنَفا: جورا أو ميلا عن الحق" [٣١]، وقال غيره: " أصل الجنف: الميل في الحكم"[٣٢]، فالأصل المعجمي هنا يتحكم بفهم المفردة القرآنية، وإن ارتكاز المفهوم على الاختلاف مع الحق والحكم العادل يجعل من الجنف مفهوماً نسبياً من جهة الاستجابة ما لم يربط بالبنية القرآنية التي تحدد جهة الحق والعدل وبذلك يتضح الجنف والميل والجور بالاختلاف عن تلك الجهة التي سيؤيدها العرف الحضاري للإسلام ومجتمعه الديني خصوصاً في بيئاته المركزية.

١٠. جأر: وردت في سورة النحل/٥٣،ﭧﭨﭩ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﭼ وقال ضيف: "(تجأرون) أي تتضرعون" [٣٣]، وقال غيره: "جأر: إذا أفرط في الدعاء والتضرع تشبيهاً بجؤار الوحشيات، كالظباء ونحوها"[٣٤]، وقال آخر: " الجؤار: الاستغاثة ورفع الصوت"[٣٥]، وهناك من قال: " (تجأرون) تضجون بالاستغاثة والتضرّع"[٣٦]، والملاحظ إن المسافة البيانية بين تجأرون وتتضرعون مسافة تقريبية فالتضرّع هو إظهار الضعف والتذلل[٣٧]، مما يدخل التفسير في مسألة ترادف المفردات، وهذا لا ينسجم وخصوصية الاستعمال بل يخضع لسلطة الفهم المعجمي ووسيلة التقريب .

حرف الحاء:

١١. أحوى: وردت في سورة الأعلى/٥، ﭧﭨﭩ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﭼ
"وقال ضيف: "من الحوّة وهي السمرة تضرب إلى السواد، وهو مثل يرمز إلى قصر مدة الحياة وسرعة زوالها مثل جفاف المرعى وتحولها غثاء أحوى"[٣٨] ، وقال غيره: " (فجعله غثاء أحوى) أي شديد السواد وذلك إشارة إلى الدّرين*"[٣٩]، وقال آخر: " (فجعله غثاء أحوى) : أي يابساً تنسفه الريح، ويحتمل السيل فيكون كالغثاء الذي فوق الماء، و(أحوى) : أي أسود بعد أن كان رطباً أخضر"[٤٠]، هنا يتحرر ضيف من القيود المعجمية عبر منفذ بلاغي ليصل إلى فهم رمزي لصورة المرعى وتحوله إلى غثاء أحوى الواردة في النص القرآني، لإحساسه بغموض التفسير المعجمي على القارئ المعاصر، وبهدف التيسير أتى بالدلالة الرمزية موجزة.

حرف الخاء:

١٢ـ خنس :وردت في سورة التكوير/١٦،١٧، ﭧﭨﭩ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ
قال ضيف: "الخنّس الجواري. الكنّس قيل هي بقر الوحش وقيل الظباء ، والقولان ضعيفان، والصحيح أنها النجوم تخنس نهارا أي تختفي، وتجري ليلا فتضيء للناس طرقهم ومسالكهم، ثم تنس أي تغرب مثل البقر الوحشي في دخول كناسه أي مبيته، وهو تصوير بديع، إذ تختفي نهارا لغلبة ضياء الشمس عليها ، وتجري ليلا هادية الناس في الظلام الموحش ثم تنحدر إلى الغروب كما تنحدر البقرة الوحشية آوية إلى كُناسها بعيدا عن الأبصار."[٤١]، وقال غيره: " أي الكواكب: التي تخنس بالنهار ...أي: ترجع وأخنست عنه حقه أخرته."[٤٢]، وقال آخر: " الخنس: جمع خانس أصلها الستر والشيطان خنّاس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى أي يذهب ويستتر وكناس الطير والوحش بيت يتخذه ويختفي فيه والكواكب تكنس في بروجها كالظباء تدخل في كناسها"[٤٣]، وهنا في تفسير (الخنّس) يلجأ ضيف إلى وسائل المعجم وكذلك إلى وسائط البلاغة للوصول إلى معنى المفردة القرآنية لكنه لا يعطينا تبريراً لهذه الطريقة التي يختارها سوى مرجعيته الأبوية اللغوية ؛لأن تشبيه النجوم ببقر الوحش والظباء يخضع لاستجابة بيئية تاريخية معينة، وقد استعملها القرآن الكريم استعمالاً حضارياً كونياً للتعبير عن "الجواري" وهي صفة عامة تشمل كل جارية في الفضاء فالشمس تجري والسفينة تجري والرياح تجري.

حرف الدال:

١٣. دأب: وردت في سورة آل عمران/ ١١،ﭧﭨﭩ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ يقول ضيف: " (كدأب) : كحال وشأن والكاف تفيد التشبيه، أي دأب هؤلاء في الكفر وعدم النجاة من عذاب الله " [٤٤]، وقال غيره: "أي : كعادتهم التي يستمرون عليها"[٤٥]،

وقال آخر: "الدأب: العادة والطريقة"[٤٦]، وهناك من قال : " (كدأب) كعادة وشأن"[٤٧]، فمعنى "الدأب" عند ضيف لا يبقى ضمن أسوار التفسير المعجمي بل يتحرر إلى فضاء النص ليعبّر عن "الحال" في وصف الذين كذّبوا بآيات الله وصفاً تشخيصياً حينما قال تعالى: "كدأب آل فرعون"، وهو وصف تشبيهي يعبّر عن سقوط حضارة آل فرعون بعذاب الله المتسبب عقوبة على تكذيبهم بآياته.

حرف الذال:

١٤. ذرأ: وردت في سورة الأنعام / ١٣٦، ﴿ ﴾ ، قال ضيف:"

(مما ذرأ) أي خلق ونمّى"[٤٨]، وقال غيره: "الذرء: إظهار الله تعالى ما أبداه، يقال ذرأ الله الخلق، أي أوجد أشخاصهم"[٤٩]، فتفسير مفردة ذرأ يبقى معجمياً ؛ وذلك لعدم التداول المعاصر.

حرف الراء :

١٥ـ رتـق: وردت في سورة الأنبيـاء/٣٠ ، ﴿ ﴾ وقال ضيف: "(كانتا رتقا) أي متلاصقتين ويمكن أن يكون المعنى أنهما كانتا كتلة واحدة ثم فتقناهما أي انفصلت السموات عن الأرض وذلك في بدء الخلق. ويمكن أن يكون الرتق والفتق موزعين عليهما، أي كانت السموات رتقا في ذاتها أي أن أجزائها متلاصقة وكانت الأرض رتقا في ذاتها، ففتق الله كلا منهما، أما فتق السموات فبنزول المطر وسقوط الصواعق منها، وأما فتق الأرض فبخروج النباتات والشجر منها."[٥٠]، وقال كذلك :"الرتق : التواصل والتلاحم بين شيئين أو في الشيء ذاته"[٥١]، وقال غيره: " الرتق: الضم والالتحام خلقة كان أم صنعة"[٥٢]، فهذا التفسير لمفردة رتق عند ضيف يلحظ السياق القرآني، وهو سياق يعزز التلقي الحسي للإنسان بمشاهدة الطبيعة وعملية "الرتق" التي تحدث فيها حيوياً، وإن رصد ذلك يتضمن قراءة دينية لمرحلة من مراحل تطور الحضارة الإنسانية التي قامت في بداياتها على ما تهبه الطبيعة بقدرة الله عز وجل.

حرف الزاي:

١٦. زحف : وردت في سورة الأنفال/١٥، ﴿ ﴾ ،(زحفا) أصل الزحف الدبيب وتقدم الشيخ قاعدا يجر رجليه كما يزحف الطفل، وسُمي به سير المقاتل إلى عدوه في ساحة القتال لأنه يمشي إليه باحتراس، فكأنه يزحف إليه"[٥٣]، وقال غيره: "أصل الزحف: انبعاث مع جرّ الرجل ، كانبعاث الصبي قبل أن يمشي وكالبعير إذا أعيا فجرّ فرسنه، وكالعسكر إذا كثُر فيعثر انبعاثه، قال [تعالى]: "إذا لقيتم اللذين كفروا زحفاً– الأنفال/١٥" والزاحف السهم يقع دون الغرض"[٥٤]، وقال آخر: "الزحف : الدنو قليلاً قليلاً "[٥٥]، إذ يستجيب ضيف لاختيار "الاحتراس" سبباً مفسراً لمفردة "زحف" الحادثة في لقاء اللذين كفروا ، ولم يستجب لاختيار "التعثر بسبب الكثرة"، ويبدو ذلك سياقياً لقوله تعالى بعدها : " فلا تولوهم الأدبار"، فالاحتراس قد يسبب ذلك، وهذه لفتة ذكية من ضيف ؛ لأنه يقرأ هذه المفردة من دون تغييب للسياق القرآني وأثره في توجيه المعنى المعجمي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تمنحنا قراءته استجابة حضارية لمعرفته المعاصرة بالأثر النفسي على الزاحفين إلى القتال.

حرف السين:

١٧. سبح: وردت في سورة الأعلى /١ ، ﴿ ﴾ وغيرها ، قال

ضيف: " أي نزه الله ما لا يليق بألوهيته ووحده ومجده وعظمه وكبّره وقدسه"[٥٦]، وقال غيره: "السّبح المرّ السريع في الماء وفي الهواء، يقال سبحَ سَبْحاً وسِباحة واستعير لمر النجوم في الفلك في قوله : "وكل في فلك يسبحون– يس/٤٠"...والتسبيح: تنزيه الله تعالى وأصله المر السريع في عبادة الله تعالى وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشر فقيل أبعده الله ، وجُعل التسبيح عاماً في العبادات قولاً كان أو فعلاً أو نية"[٥٧]، وقال آخر: " (سبّح اسم ربّك):نزه اسمه عن إلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وإطلاقه على غيره زاعماً أنهما فيه سواء"[٥٨]، إذ يرتكز المفهوم المعجمي لمفردة "سبّح" عند ضيف على تنزيه الله عما لا يليق إضافة إلى ردود فعل التقديس والتعظيم من قبل الإنسان باسم ربّه الأعلى "الذي خلق فسوى"، وفي هذه القراءة يتجنب ضيف الخوض في تفسير التسبيح وكيفيته قولا أو فعلا أو نية؛ وذلك بدافع الحذر من التأويل والخوض في طريقته ، فالتسبيح له مفاهيم متعددة وفقاً لاتجاه المفسرين نحو ما ذكرنا وتحتاج التأويل في فهمها وهذا ما لا يريد ضيف أن يخوض فيه بل يكتفي بذكر التنزيه وألفاظ التقديس والتوحيد لله تعالى، فهي استجابة ذات اتجاه إصلاحي ديني تريد أن تخفي اختلاف التأويل في مفهوم التسبيح أمام توحيد الله وتقديسه، وهذا موقف إصلاحي لدعاة عالمية الإسلام، وهو من الذين أسهموا فيه في نهاية القرن العشرين ، فقد نشر كتابه " عالمية الإسلام" سنة ١٩٩٦م، وعليه يكون النسق العالمي للإسلام متمدداً في تفسيره لهذه المفردة "سبّح"؛ لذلك مال ضيف لعدم الخوض في اختلاف التأويل من أجل عالمية التسبيح التي تحتمل وفقاً لعلماء الإسلام ما يفعله كل الكائنات من خير، أحياءً كانت أم غير أحياء.

١٨. سموم: وردت في سورة الطور/٢٧ ، وغيرها ﴿ سم □ □ □ □ □ □ ﴾ ، قال ضيف: "والسموم حرّ نار تنفذ في مسام البدن وتحرق الأجساد، وتسمى

بها الريح الحارة في فلوات الصحراء العربية التي تشوي الوجوه في الصيف، والحميم الماء الشديد الحرارة. واليحموم الدخان الغليظ الأسود سواد الفحم" [٥٩]، وقال غيره: " والسموم : الريح الحارة التي تؤثر تأثير السم "[٦٠] وقال آخر: " الريح الحارة القاتلة"[٦١]، ومن الواضح هنا إن ضيف يريد شدّ التفسير المعجمي لمفردة "سموم" إلى البيئة العربية، وهي استجابة حضارية قومية تعزز انتماء الفهم المعجمي إلى موطن الرسول ص وظهور الإسلام ؛ لأن تفسيره يرتكز على قراءة مقاربة بين سموم المناخ الصحراوي وسموم العذاب الأخروي من جهة تظهر حسياً للمتلقي طلباً للتيسير وتجنباً للتأويل .

حرف الشين:

١٩. الشفق: وردت في سورة الانشقاق /١٦ ﴿ تخ تم ته ثم ﴾ ،يقول ضيف:

"وهو الحمرة بعد سقوط الشمس في الغروب"[٦٢]، وقال غيره: " الشفق: اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس"[٦٣]، وتفسير "الشفق" بالحمرة المغربية يعد سياقياً؛ لتصويره هذا الوقت الانتقالي ضوئياً وزمنياً، فالميول وحركة التحوّل الحسي هي التي يتجلى فيها الشفق للمتلقي، فمظاهر الطبيعة قريبة من فهمه وطبيعته، والمعجم لا يبتعد عن الفهم الحسي ما دامت المفردة تعبّر عن ظاهرة طبيعية يدركها الحس وتتفاعل معها العاطفة خصوصاً في الطبيعة الصحراوية التي يدرك فيها البدوي مدى الاختلاف بين منافع النهار ومنافع الليل.

حرف الصاد:

٢٠. صلصال: وردت في سورة الرحمن/١٤،﴿ بم به تج تح تخ تم ﴾

يقول ضيف: "والصلصال الطين اليابس غير المحروق إذا نقر بإصبع أو يد تكون له صلصلة وصوت، فإذا أحرق بالنار فهو الفخار. "[٦٤]، وقال كذلك: "(من صلصال) أي طين يابس يصلصل ويصوّت عند نقره " من حمأ" أي من طين أسود" مسنون" أي رائحته متغيرة"[٦٥]، وقال غيره: "الصلصال: تردد الصوت من الشيء اليابس، وفيه قيل:صلّ المسمار

وسمي الطين الجاف صلصالاً"[٦٦]، وقال آخر: " الصلصال: الطين اليابس أخذ من الصلصلة وهي القعقعة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصلّ يصل الصوت...ويقال الصلصال المنتن أخذ من صلّ اللحم وصلّ إذا انتن "[٦٧]، ويقترب من تفسير ضيف قول بعضهم: "الصلصال: الطين يترك حتى ييبس وهو شبه الفخار الذي ييبس بالطبخ بالنار"[٦٨]، ويتضح من تفسير ضيف أنه يُعرب عن "الصلصال" من خلال رؤية معجمية يقوم بتيسيرها بقوله: "إذا نقر بإصبع أو يد تكون له صلصلة أو صوت" وبقوله: "يصلصل ويصوّت"، مع أن التصوير القرآني يرتكز على طرق التشبيه والمجاز، وهذه الاستجابة لأبوية المعجم لا تتعدى تقريب الفهم عن طريق الحس الحضاري في إدراك صناعة الفخار بمعالجة الطين بالنار حتى يتحوّل إلى كتلة قابلة لإصدار الصوت عند النقر عليها، وقد ألحّ عليها ضيف في تفسيره لمفردة "صلصال" من هذا الأب المتيسّر للمعجميين الإسلاميين .

حرف العين:

٢١. عجاف: وردت في سورة يوسف، ﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾ قال ضيف:"(عجاف) جمع عجفاء وهي الهزيلة هزالا شديدا"[٦٩]، وقال غيره: " جمع أعجف وعجفاء أي الدقيق من الهُزال من قولهم نصل أعجف دقيق، وأعجف الرجل صارت مواشيه عِجافاً، وعجفت نفسي عن الطعام وعن فلان أي نبت عنهما"[٧٠]، وهنا لا تتعدى قراءة ضيف لمفردة "عجاف" حدود المعجم، وهي قراءة مسوّرة بأسوار بيئية ولها خصوصية عربية تاريخية ضمن البداوة، مع أن السياق القرآني يأتي بها في قصّة تسبق عصر الإسلام ، وتبتعد عن بيئته، وهي قصّة نبي الله يوسف عليه السلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إن مفردة "عجاف" بنية لفظية من رؤيا نبوية لها تأويلها السماوي والحضاري المختلف، وتسليط المعجم على مفهومها مجرداً يقيّد مفهوم المفردة، ويمنع من رصد دلالتها الرمزية التي يمكن أن يفهمها القارئ من دون التقيّد بحدود المعجم المكانية والزمنية .

٢٢. عشار: وردت في سورة التكوير/٤، ﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾ قال ضيف:

" والعشار جمع عشراء وهي الناقة التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، وعطلت أي أهملها أصحابها عن الحلب، وقيل العشار السحب تعطل عما فيها من المطر فلا تمطر"[٧١]، وهي عند غيره كذلك[٧٢]، وقال آخر: " (العشار عطلت) النوق الحوامل أهملت بلا راعٍ"[٧٣]، والملاحظ في تفسير ضيف لمفردة "عشار" تمسكه بالفهم البيئي الصحراوي الذي يتأسس عليه المعجم العربي .

حرف الغين:

٢٣. غض: وردت في سورة النور/٣٠،وغيرها، ﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾

يقول ضيف: " (يغضوا من أبصارهم) الغض: صرف البصر عن التحديق في الشيء وكفّه وخفضه."[٧٤]، وقال غيره: " الغض: النقصان من الطرف، والصوت وما في الإناء يقال غضّ وأغضّ "[٧٥] ، وقراءة ضيف لمفردة "يغضوا" تسيطر عليها النظرة الفقهية الإسلامية، وهي قراءة تستجيب للسياق القرآني.

حرف الفاء:

٢٤. فلق: وردت في سورة الفلق/١، ﴿ ٱ ٱ ٱ ﴾ يقول ضيف: "وأصل

معنى الفلق الشق."[٧٦]، وقال غيره: "الفلق: الشق يقال فلقه فانفلق والفلق الصبح لأن الظلام ينفلق عنه والفلق المطمئن من الأرض كأنه منشق عنها و(الفلق): أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه يفلقه فلقاً ويقال أبين من فلق الصبح

وفرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام"[٧٧]، والفلق هو المقابل الضدي للشفق، إذ يعبر عن الوقت الانتقالي من الليل إلى أول النهار وهو الصبح، وإن هذه المفردة تصوّر التجلي الحسي غير الملموس عن طريق التجلي الحسي الملموس؛ فالإنسان يألف "الفلق" في الملموس، وإن في دلالته على "الشق" تصوير لانفلاق الضياء داخل الظلام مما يصوّر جزئية القسم المنار من الكون الذي سيحيطه الجزء الأكبر المظلم، وبهذا يكون "الشق" أصلا للفلق عند ضيف من باب الإشارة المعجمية التي تختزل الترابط الدلالي لمفردة "الفلق" التي تقع في مختلف الأشياء المخلوقة .

٢٥. أفنان: وردت في سورة الرحمن/ ٤٨، ﴿ ﴾ قال ضيف: "أفنان جمع فنن وهو الغصن...وذهب بعض المفسرين إلى أنّه لا يراد بالأفنان في الآية الأغصان والظلال والثمار، وإنّما يراد فنون النعيم الأخرى وألوانه، ومنه قول بعض الشعراء[٧٨] :

ومن كلِّ أفنانَ اللذاذةِ والصّبا لهوت بهِ والعيْشُ أخضرُ ناضرُ

وكأن الآية تشير إلى ألوان النعيم الكثيرة..." [٧٩]، وقال غيره: " (ذواتا أفنان) أي ذواتا غصون وقيل ذواتا ألوان مختلفة"[٨٠]،وقال آخر: " أغصان، أو أنواع من الثمار"[٨١]، وهنا يتحرر ضيف من التضييق المعجمي في فهم مفردة "أفنان" لتشمل ألوان النعيم الكثيرة في الجنتين ، فلا يمكن تصوّر الجنة شجرة أو حديقة فقط فالسياق القرآني في سورة الرحمن وغيرها يسرد ويصف مظاهر حياتية متنوعة تشتمل في عرف المتلقي على ما يراه في الطبيعة الخضراء والقصور والبادية والجزر قرب البحار، وإن هذا التصوير القرآني لنعيم الجنة وأفنانه ينسجم ومدى تصورات الإنسان الحضارية وما يراه منجز في الطبيعة وما ينجزه هو، وعليه يكون ضيف قد استجاب لما وقع عليه إدراكه من صور النعيم، وعلى الرغم من ذلك يبقى التعبير القرآني بـ"ذواتا الأفنان" تصويراً لإدراك المتلقي وفهمه المتيسّر؛ لأن المفردة القرآنية ذات مستويات تعبيرية مختلفة قد تتجاوز الرمز اللفظي للمفردة.

حرف الكاف:

٢٦. كرسي : وردت في سورة البقرة /٢٥٥ ، ﴿ ﴾ يقول

ضيف: " قيل المراد بالكرسي العرش، وقيل العلم، وقلت هو سلطان الله في السموات والأرض ، وهو تصوير لعظمة الله وقدرته وسيطرته على الكون"[٨٢]، وقال غيره : " (كرسيه) أي عرشه ، وقيل أنه غيره"[٨٣]، وذهب آخر إلى أن أحد العلماء السالفين قال: "الكرسي هو العرش نفسه؛ وهذا ليس بمرضي، والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه "[٨٤]، ومع أن مناحي التفسير في هذه المفردة أخذت بعيداً في التأويل إلا أن ضيف لا يقترب من ذلك، ويفضل قراءة مفردة "كرسي" على أنها سلطان الله بشكل مطلق من دون أن ينظر في معاني قرينتها "العرش" التي انسحبت إلى تأويل مختلف عليه أكثر من "الكرسي" وخصوصاً في تفسير قوله تعالى : "وكان عرشه على الماء"، وبهذا يحد ضيف من الخرق العقلي الذي ينسحب إليه التأويل ويبقى في محيط المفردة القرآنية تحت سلطة التلقي الإنساني على الرغم من لفتته المتحررة من المعجم في تفسير المفردة.

٢٧. كوثر: وردت في سورة الكوثر/١، ﴿ ﴾ قال ضيف:

الكوثر في اللغة على صيغة فوعل الكثير من كل شيء، أو بعبارة أدق المفرط الكثرة كما قال الزمخشري ومثل له بقول أعرابية رجع ابنها من سفر حين سُئلت بم رجع ابنك قالت رجع بكوثر ، والكوثر أيضا السيد الكثير الخير، وعلى وزنه النوفل وهو المعطاء، واشتق منه تكوثر الرجل أي أصبح كثير الخير والعطاء. وذكر المفسرون تفاسير كثيرة للكوثر ، فقيل القرآن والنبوة لأن الخطاب للرسول ص، وقيل الكوثر الإسلام والنبوة، وقيل الخير الكثير الذي يعطيه الله لأمة الرسول يوم القيامة، وقيل الكوثر أصحابه وأشياعه إلى يوم القيامة وقيل هو الشفاعة لأمته التي أعطاها الله إياه، وقيل هو نور قلبه،

وقيل هو العلم والحكمة، وقيل هو النعم الدنيوية والأخروية ، وقيل نهر في الجنة ، وجميع ما ذكره المفسرون في تفسير الكوثر أعطاه الله لرسوله ص ، أعطاه النبوة، وأعطاه الخير الدنيوي والأخروي، وأعطاه نور الهدى والسعادة في الدارين"[٨٥]، وقال غيره: " وأراد بالكوثر أولاده إلى يوم القيامة من أمته، جاء في قراءة عبد الله : (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم وأزواجه أمهاتهم) وما أعطاه الله في الدارين من مزايا الاثرة والتقديم ووضع في يديه من نواحي التفضيل والتكريم والثواب الذي لم يعرف إلا هو كنهه، ولم يعط إلا الملك شبهه، ومن جملة الكوثر ما اختصه به من النهر الذي حاله المسك، ورضراضه التوم [الحصى الصغار]، وعلى حافاته من أواني الذهب والفضة ما لا يعادله النجوم "[٨٦]، ومن الملاحظ في قراءة ضيف أنه استقصى كثيراً من الآراء التي طرحها السلف من العلماء في تفسير "الكوثر"، وقد تجنب تأويل المعتزلة ومنهم الزمخشري الذي اختار تفسير "الكوثر" بأولاد الرسول ص إلى يوم القيامة من أمته ملتزماً بما قطعه على نفسه من تنحية تفاسير الشيعة والمتصوفة ، ومع اعتداد ضيف بكثير من آراء المعتزلة إلا أنه لا يوافقهم في كثير منها أيضاً، وبذلك يغيّب جزءاً من الجهد الحضاري الإسلامي باستبعاده بعض المذاهب، إلا أنه يلتزم بصراحته ويفي بما قطعه على نفسه.

حرف الميم:

٢٨. مرج: وردت في سورة الرحمن/١٩ ، ﴿ مَرَجَ ﴾ قال ضيف:

"مرج تأتي بمعنيين: أرسل وخلط، يقال مرج الإبل في المرعى إذا أرسلها فيه، كما يقال مرج الماء واللبن إذا خلطهما "[٨٧]، وقال غيره: "مرج: اختلط البحران، ومن مرجت دابتك: تركتها ...والمرج: الفتنة والفساد وفي الحديث: كيف إذا مرج الدين؟ أي فسد ، ومرج البحرين العذب والملح: خلطهما حتى التقيا أو خلاّهما ثم جعلهما لا يلتبس ذا بذا – والمرج : الإجراء: مرج البحرين: أي أجراهما "[٨٨]، وهنا يبقى ضيف في فهمه لمفردة "مرج" في حدود المعجم العربي، وملتزماً في ابتعاده عن التأويل، على الرغم من أن المعنى المعجمي يشتمل على فعل حركة البحرين فضلا عن الإرسال والخلط ؛ لأننا يمكن أن نشمل فيضانهما وأمواجهما وتلاطمهما وما يؤولان إليه بعد أن يلتقيان، فقد أخذ ضيف تفسير مفردة "مرج" من أقرب أطرافها المعجمية حتى أنه لم يستعن بثقافته الأدبية والحضارية في دراستها؛ ويبدو لي ذلك لتجنب ما علمه من التأويل المذهبي المختلف عليها.

حرف الواو:

٣٤. وجه: وردت في سورة الرحمن/ ٢٧ ، ﴿ وَجۡهُ ﴾ ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾

يقول ضيف: "فقيل الوجه المقصد أي يبقى ما يقصد به ربّك من الأعمال الصالحة [٨٩]، كما قال الشاعر[٩٠]: أستغفر الله ذنباً لستُ مُحصيه ربّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

ونسب إلى الصوفية القول الذاهب إلى أن "وجه ربك" هو "وجه الموجودات الذي يلي جهة الله، بمعنى أن الموجودات كلها فانية إلا باعتبار الوجه الذي يتولاه الحق جلّ وعز" ولم يقتنع به[٩١] واقتنع بأن وجه ربك معناه " ذاته القدسية"[٩٢]، وقد سبقه البيضاوي بقوله: " (ويبقى وجه ربك) ذاته ولو استقريت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته"[٩٣]، وهنا لا يضيف ضيف في قراءته لتعبير "وجه ربك" على ما ورد عند البيضاوي غير أنه لا يقتنع بالجزء الذي نسبه للصوفية.

الهوامش

(١) الوجيز في تفسير القرآن الكريم، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط:٣، ١٩٩٦م. : ٩٩٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبطه: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م.:١٢.

(٣) تفسير البيضاوي، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٧٩١هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط:١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م: ٥٧٠/٢.

(٤) ظ: تفسير غريب القرآن، الحافظ العلامة سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد النحوي الأنصاري الشافعي المعروف بابن المُلقِن ت ٨٠٤ هـ ، تحقيق: د. سمير طه المجذوب، عالم الكتب ، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م: ٥٣٠.

(٥) ظ: غريب القرآن والشعر الجاهلي، الأستاذ محمد سعيد القطاري، عالم الكتب الحديثة، أربد– الأردن، ط:١، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م: ١٥.

(٦) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٥٨٣.

(٧) تفسير الزمخشري، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط:٣، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.: ٢٢٧/٣.

(٨) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ٣٧.

(٩) تفسير غريب القرآن لابن الملقن : ٢٧٣.

(١٠) كلمات القرآن – تفسير وبيان، أ. حسنين محمد مخلوف، منشورات دار الهلال، مصر، لاط ، ١٩٥٦م:٢١٨.

(١١) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٦١٧.

(١٢) المفردات في غريب القرآن: ٣٥.

(١٣) مفردات القرآن في مجمع البيان، الياس كلانتري، بمساعدة: د. عباس الترجمان، ومحمد علي حقيقي، وفخر الدين شمس، ومرتضى نام آور، مطبعة: جايخانة حيدري/ إيران ،ط :١، ١٤٠٧هـ : ٢٨.

(١٤) كلمات القرآن – تفسير وبيان : ٢٣٠. ومَديَن أو المدينيين (أصحاب الأيكة)، اسم قبيلة من العرب القدماء في شمال غرب الجزيرة العربية تقع آثار مساكنهم بالقرب من مدينة البدع التابعة لمنطقة تبوك التي تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية، كان أهل مدين رعاة غنم وتجاراً ويغشون في الأوزان ويعبدون شجرة الأيك. ظ: قوم مدين – ويكيبيديا، الموسوعة الحرةwiki https://ar.wikipedia.org .

(١٥) سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٤٦–٤٨.

(١٦) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٨٨٨.

(١٧) البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، المكتب العربي بالكويت، الناشر مكتبة الخانجي في مصر، ومكتبة الهلال في بيروت، ط:٣، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .:١/ ٧٦.

(١٨) متشابه القرآن ، عبد الجبار المعتزلي ت ٤١٥ هـ ، تحقيق: د. عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، شارع الجمهورية في القاهرة، ط:٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م: ٦٣٧.

(١٩) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٨٨٨.

[٢٠] أصول البيان العربي / رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين الصغير: دار الشؤون الثقافية، بغداد، ضمن سلسلة كتب شهرية (٩) سنة الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد:١٩٨٦م.

[٢١] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٣٧٧.

[٢٢] المفردات في غريب القرآن : ٧٤.

[٢٣] مفردات القرآن في مجمع البيان: ٥١.

[٢٤] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٣٨.

[٢٥] المفردات في غريب القرآن : ٤٣.

[٢٦] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٤٣٣.

[٢٧] المفردات في غريب القرآن : ٤٦.

[٢٨] سورة الرحمن وسور قصار–عرض ودراسة، د. شوقي ضيف، دار المعارف ، ط: ٢، ١٩٨٠. طبع هذا الكتاب طبعته الأولى:١٩٧١: ١٥٩.

[٢٩] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٥٩٥.

[٣٠] المفردات في غريب القرآن : ٤٩.

[٣١] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٥٥.

[٣٢] المفردات في غريب القرآن :١٠٦.

[٣٣] الوجيز في تفسير القرآن الكريم:٤١٣.

[٣٤] المفردات في غريب القرآن : ١٠٨.

[٣٥] ظ: مفردات القرآن في مجمع البيان: ٤٥.

[٣٦] كلمات القرآن – تفسير وبيان: ١٥٨.

[٣٧] المفردات في غريب القرآن: ٣٠٦.

[٣٨] الوجيز في تفسير القرآن الكريم:١٠١٠.

[٣٩] مفردات ألفاظ القرآن، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، تحيق: صفوان عدنان داوودي، شريعت /قم، الناشر: ذوي القربى، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط:٢، ١٤٢٣هـ: ٢٧١.* والدرين: النبت الذي أتى عليه سنة ثم جف، الهامش رقم (٢) في الصفحة نفسها.

[٤٠] تفسير غريب القرآن لابن الملقن: ٥٤٧.

[٤١] القسم في القرآن الكريم: ٢٣.

[٤٢] المفردات في غريب القرآن : ١٦٦.

[٤٣] مفردات القرآن في مجمع البيان: ١٢٢.

[٤٤] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٩٥.

[٤٥] المفردات في غريب القرآن : ١٨١.

[٤٦] مفردات القرآن في مجمع البيان: ١٢٦.

[٤٧] كلمات القرآن – تفسير وبيان: ٣٤.
[٤٨] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٢٤٧.
[٤٩] المفردات في غريب القرآن : ١٨٥.
[٥٠] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٥٣٦.
[٥١] معجزات القرآن: ١٤١.
[٥٢] المفردات في غريب القرآن : ١٩٤.
[٥٣] الوجيز في تفسير القرآن الكريم:٢٩٩.
[٥٤] المفردات في غريب القرآن : ٢١٩.
[٥٥] مفردات القرآن في مجمع البيان: ١٦٤.
[٥٦] الوجيز في تفسير القرآن الكريم:١٠١٠.
[٥٧] المفردات في غريب القرآن: ٢٢٨.
[٥٨] تفسير البيضاوي: ٢/ ٥٨٩.
[٥٩] سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٩٠– ٩١.
[٦٠] المفردات في غريب القرآن: ٢٤٩.
[٦١] كلمات القرآن – تفسير وبيان: ١٥١.
[٦٢] الوجيز في تفسير القرآن الكريم:١٠٠٥.
[٦٣] المفردات في غريب القرآن:٢٧٣.
[٦٤] سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٦٣.
[٦٥] الوجيز في تفسير القرآن الكريم:٤٣٥.
[٦٦] المفردات في غريب القرآن: ٢٩٤.
[٦٧] مفردات القرآن في مجمع البيان: ٢٢٣.
[٦٨] غريب القرآن والشعر الجاهلي : ١٦٥.
[٦٩] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٣٩٦.
[٧٠] المفردات في غريب القرآن:٣٣٥.
[٧١] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٩٩٧.
[٧٢] ظ: تفسير غريب القرآن لابن الملقن: ٨١.
[٧٣] كلمات القرآن – تفسير وبيان: ٤٠٨.
[٧٤] الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٥٨٢.
[٧٥] المفردات في غريب القرآن: ٣٧٥.
[٧٦] سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٣٨٥.
[٧٧] مفردات القرآن في مجمع البيان: ٣٠٣.

(٧٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ، تحقيق السيد محمود شكري الألوسي، المطبعة المنيرية، دار إحياء كتب التراث، بيروت، لات :١١٧/٢٧ لم ينسبه لشاعر.

(٧٩) سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ١١٨– ١١٩.

(٨٠) المفردات في غريب القرآن: ٤٠٢.

(٨١) كلمات القرآن – تفسير وبيان: ٣٤٧.

(٨٢) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٣،٨٠.

(٨٣) تفسير غريب القرآن لابن الملقن: ٨٥.

(٨٤) م . ن: ٨٥، الهامش (٣) للمحقق سمير طه المجذوب نقلا عن جامع القرطبي:٢٧٨/٣.

(٨٥) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ١٠٤٢.

(٨٦) إعجاز سورة الكوثر، للإمام الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، تحقيق: حامد الخفاف، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط: ٢، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م: ٥٦–٥٧.

(٨٧) سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٦٩.

(٨٨) غريب القرآن والشعر الجاهلي : ٢١٨–٢١٩.

(٨٩) سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٧٨.

(٩٠) البيت غير منسوب في الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ق٤هـ تحقيق: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: ١٣٤.

(٩١) سورة الرحمن وسور قصار – عرض ودراسة: ٧٨–٧٩.

(٩٢) الوجيز في تفسير القرآن الكريم: ٨٨٩.

(٩٣) تفسير البيضاوي: ٢/ ٤٥٣.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أصول البيان العربي / رؤية بلاغية معاصرة: د. محمد حسين الصغير: دار الشؤون الثقافية، بغداد، ضمن سلسلة كتب شهرية (٩) سنة الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد:١٩٨٦م.
- إعجاز سورة الكوثر، للإمام الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، تحقيق: حامد الخفاف، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط: ٢، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
- البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، المكتب العربي بالكويت، الناشر مكتبة الخانجي في مصر، ومكتبة الهلال في بيروت، ط:٣، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .
- تفسير البيضاوي ، المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، القاضي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ت ٧٩١هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط:١، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

- تفسير الزمخشري، تحقيق محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، منشورات محمد علي بيضون، ط:٣، ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.
- تفسير غريب القرآن، الحافظ العلامة سراج الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن أحمد النحوي الأنصاري الشافعي المعروف بابن المُلقِن ت ٨٠٤ هـ ، تحقيق :د. سمير طه المجذوب، عالم الكتب ، بيروت، ط:١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت١٢٧٠هـ، تحقيق السيد محمود شكري الألوسي، المطبعة المنيرية، دار إحياء كتب التراث، بيروت، لات:١١٧/٢٧.
- سورة الرحمن وسور قصار–عرض ودراسة، د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط: ٢، ١٩٨٠. طبع هذا الكتاب طبعته الأولى:١٩٧١.
- غريب القرآن والشعر الجاهلي، الأستاذ محمد سعيد القطاري، عالم الكتب الحديثة، أربد– الأردن، ط:١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
- فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تأليف أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ق٤هـ تحقيق: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
- كلمات القرآن – تفسير وبيان، أ. حسنين محمد مخلوف، منشورات دار الهلال، مصر، لاط ، ١٩٥٦م.
- متشابه القرآن ، عبد الجبار المعتزلي ت ٤١٥ هـ ، تحقيق: د. عدنان محمد زرزور، مكتبة دار التراث، شارع الجمهورية في القاهرة، ط:٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.
- مفردات ألفاظ القرآن ، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، تحيق: صفوان عدنان داوودي، شريعت /قم، الناشر: ذوي القربى، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط:٢، ١٤٢٣هـ .
- مفردات القرآن في مجمع البيان، الياس كلانتري، بمساعدة: د. عباس الترجمان، ومحمد علي حقيقي، وفخر الدين شمس، ومرتضى نام آور، مطبعة: جايخانة حيدري/ إيران ،ط :١، ١٤٠٧هـ .
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ضبطه: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: ١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٨ م.
- الوجيز في تفسير القرآن الكريم، د. شوقي ضيف، دار المعارف،ط:٣، ١٩٩٦م.